البحث
٢

مبادىء الأنـا المتعالية عند « فيشتة »

إعـــداد
د / محمد توفيق الضوى
كلية الآداب - جامعة المنوفية

مبادئ الأنا المتعالية عند "فيشته"*

١- هَدَفَ "فيشته" إلى إقامة مبدأ أساسى أولى يُعد بمثابة دعامة رئيسية لعلم المعرفة تتبنى عليها كافة القضايا، متفقاً فى هذا مع كنط فى تحديده لمبادئ قبلية ضرورية للمعرفة. بيد أن هذا شأن غالبية المثاليين فى إيجاد ذلك العنصر القبلى الذى يقوم بدور الركيزة الأساسية للفكر، وقد تمثل ذلك عند كنط فى قبلية المقولات، وعند هيجل فى بداية منهجه الجدلى من فكرة الوجود الخالص الذى ينطبق على كافة الموجودات، وعند ماكتجارت فى تقريره لفكرة "الوجود" بوصفه مقولة أساسية يقام عليها جميع مقولات وقضايا النسق.

٢- والمبدأ الأساسى للمعرفة عند "فيشته"[١] هو "الأنا الخالصة"

---

* يوهان جو تليب فيشته (١٧٦٢ ــ ١٨١٤) فيلسوف ألمانى مثالى المذهب، تعلم اللاهوت والفلسفة فى الجامعة، وعكف بعد تخرجه على دراسة كتب كانط، وفى عام ١٧٩١ ذهب إلى كونجسبرج لمقابلته وعرض عليه كتاباً بعنوان "محاولة فى نقد كل وحى". عُين فيشته أستاذاً فى جامعة يينا عام ١٧٩٤ حتىعام ١٧٩٩، وفى هذه الفترة نشر مذهبه الفلسفى ومجموعة مؤلفات هامه، فذاع صيته وعلت شهرته، وبعد سنوات لصقت به تهمة الإلحاد وتم عزله من منصبه فاتجه إلى برلين وأصبح عضواً فى حلقات الرومانتيكين اتصف فيشته بحماسه الثورى فراح يعطى دروساً شعبية، وبرز خطيباً مجيداً ولاسيما فى حث الشعب على مقاومة جيوش نابليون التى حاولت غزو ألمانيا، وقام يشارك فى توطيد دعائم الروح الألمانية وتشجيع المقاومة والتحق بجامعة برلين عام ١٨١١ وعمل بها حتى وفاته.

أهم مؤلفاته:

محاولة فى نقد كل وحى ١٧٩١ ــ المبادئ الأساسية لعلم المعرفة ١٧٩٤.
القانون الطبيعى ١٧٩٧ ــ المدخل إلى نظرية المعرفة ١٧٩٧.
الفلسفة الخلقية ١٧٩٨ ــ رسالة دفاع قانونى ونداء للجمهور.
غاية الإنسان ١٨٠٠.

(١) وفى رأينا ينطبق هذا المبدأ على "الانطولوجيا" أيضاً.

Pure ego [٢]، ويقرر أن هذه الأنا تسبق كل تجربة وترتفع عليها، وهى عماد كل تفكير وتعلو به، وتفسير هذا ما يلى:-

(٢-١) لاتتم معرفة الأنا الخالصة من خلال التجربة الحسية وإنما عن طريق تقرير سبق وجودها مستقلاً عن أية تحديدات، ويتم هذا بتجريد الأنا من كل محتويات الوعى الناتجة من التجربة الحسية فتتكشف "أنا فى ذاتها" تصير مصدراً رئيسياً لكل موضوعات الفكر والتجربة، وتصبح موضوع المثالية الأساسى الذى بينه "فيشته" ودافع عنه حين قال "إن الأنا فى ذاتها Self in itself هى الموضوع الدقيق للمثالية، وهذه الأنا ليست موضوع تجربة حسية ولكنها ترتفع فوق كل تجربة، ولا تتحدد بواسطة تجربة وإنما عن طريقى أنا حتى تحوز على معنى محدد"[٣] وهكذا تصل مثالية "فيشته" إلى تقرير أن الأنا فى ذاتها هى "أنا" حرة، عقلية، تقوم بخلق عالم المادة كما فعل باركلى، وتخلص إلى أن وجود الذات يُعد بمثابة قضية قبلية سابقة على كل معرفة وحكم بشأن العلم والحياة اليومية[٤].

(٢-٢) اقتنع "فيشته" بضرورة أن تكون "الأنا دعامة للفكر" فيقول " فى كل لحظة نحياها نفكر دائماً فى الأنا أو من خلال الأنا، ولاشئ نلجأ له غير هذه الأنا. إن كل ما نفكر فيه بوصفه حالاً فى الوعى يفرض بالضرورة الأنا ملازمة لهذا التفكير، فضلاً عن أن جميع الحالات الذهنية لايمكن تجريدها من الأنا بل هى مصاحبة على الدوام لكل تمثلاتى حين أقوم بالتفكير"[٥].

---

(٢) بالألمانية Jchheit.

(٣) Fichte :The Science of Knowledge, Trans. by Peter Heath and John Lachs, Cambridge Univeristy Press, 1982,P.10.

(٤) W .K.Wright W.K: History of Modern Philosophy, The Macmilan Company, New York, 1942, PP.301-302.

(٥) Fichte: S.K, Second introduction,P.71.

يعلن "فيشته" فى هذا النص أمرين أولهما: تأكيد مرجعية "الأنا أفكر" و"الأنا موجود" معاً كمبدأ أساسى لكل من الفكر والوجود، وثانيهما: إعلان اختلافه عن كنط، فمن حيث أولوية الأنا لم يلق كنط بالاً لتحديد أولويتها أو عدم التحديد، وإنما جعل جل اهتمامه منصباً على بيان أهمية المحتويات وترتيبها وتصنيفها، وهذه المحتويات مستمده فى الأصل من العالم الخارجى ومهمة الأنا هى صياغة معطيات هذا العالم من خلال فعالية وتلقائية الأنا، وبالتالى تصبح الأنا معتمدة على العالم الخارجى الذى يشكل بدوره جزءاً من محتوياتها. أما "فيشته" فقد جعل الأولوية للأنا الميتافيزيقية على محتوياتها ومن ثم تصير الأنا هى الأساس الذى ينبنى عليه الوجود والمعرفة، وليست هذه الأنا سوى "الأنا أفكر"(٦).

٣- إذن فقد اعتبرت الأنا ـ بالنحو السابق ـ بمثابة مصادرة ضرورية للفكر والوجود، ولذا فمن خطل الرأى فى تصور "فيشته" اعتبار "الأشياء فى ذاتها" مجرد موجودات مستقلة عن الفكر كما ذهب كنط وأن المنفذ الوحيد لها هو مصادرات العقل العملى(٧). لقد أكد "فيشته" أن كل موجود سواء كان ذواتاً أو تصورات أو أشياء وحتى الأشياء فى ذاتها لايمكن أن توجد مستقلة عنا فكل ما هو موجود لابد أن يرتبط بنا وبتفكيرنا(٨). ولذلك فالمقابلة التقليدية بين الذات والموضوع تعود للظهور عنده ولكنها ليست مقابلة بين طرفين متناقضين، وإنما بين موضوع هو من فعل الذات وبين هذه الذات نفسها، أو بين ذات تقوم بإدراك عالم خارجى وبين عالم مدرك من خلال تحديدات من خلق هذه الذات مؤكدة بها نشاطها وفعاليتها.

---

(٦) Tod Handerich (ed): The Oxford Companion To Philosophy, Oxford University Press, 1995,P.278.

(٧) Henry D.Aiken: The Age of Idiology, The Mentor book, 1956, p.57.

(٨) Fiehte: S.K,p.71.

ولذلك كان ثمة اتفاق بين كنط و"فيشته" على رد جميع الموجودات إلى جوهرية أنا مطلقة ثابتة تؤكد على ضرورة الجمع بين الذات والموضوع، وقد تمثل هذا عند كنط فى هيمنة العقل الخالص على مقدرات المعرفة عن طريق وظيفتيه النظرية والعملية، وعند "فيشته" فى الأنا المطلقة. والاختلاف بينهما يرجع إلى أن كنط سعى لبيان أهمية وحقيقة المقولات التى تُبنى عليها المعرفة التجريبية من خلال العقل الخالص الذى ترتد إليه هذه المقولات. اما "فيشته" فعمل على تأكيد أهمية الأنا التى تقوم بعملية المعرفة وهى الأنا الواعية بنفسها ثم بالعالم الخارجى.

مبادئ الأنا الأساسية

طبيعة المبادئ

٤- يجمع كثير من الفلاسفة وعلى رأسهم أقطاب المثالية على تحديد تصورات أساسية بمثابة ركائز ينطلقون منها لبناء نظرياتهم، وتعد مبادئ "فيتشه" من هذا النوع، وقد وجدنا أن هذه المبادئ تتميز بعده خصائص نوردها فيما يلى:-

(٤-١) الصورية: قام "فيشته" ببيان صورية المبادئ من خلال الموازاه بينها وبين قوانين الفكر الأرسطية، فالمبدأ الأول يوازى قانون الذاتية (أ هى أ تساوى الأنا هى الأنا). وقصد "فيشته" من هذا أن يبدأ بقضية واضحة بذاتها تقترب بصدقها ووضوحها من قانون الذاتية المنطقى. فكما أنه لايمكن الشك فى عدم يقين " أ هو أ "، كذلك لايمكن ولا يجوز الشك فى الأنا.

(٤-٢) القبلية: بمعنى أنها سابقة على تجربة (فقرة ٢-٢).

(٤-٣) الاطلاق: لأنها تنطبق على كافة الموجودات، وتجاوز حدود الزمان والمكان وبالتالى هى كلية وعامة وتستوعب كل وجود سواء فى الذهن أو خارجه.

(٤-٤) لاتقبل هذه المبادئ الحكم عليها بالصدق والكذب لأنها تتصف بالصورية والقبلية والإطلاق.

(٤-٥) تقبل هذه المبادئ نظرية الاتساق فى الصدق Coherence والتى تعنى أن جميع قضايا النسق مترابطة متماسكة بحيث تستمد كل قضية صدقها من صدق القضايا الداخلة فى النسق الواحد وليس من خارجه. وبناء على هذا فإن يقين المبدأ الأول يتوقف عليه يقين سائر المبادئ الأخرى، وهذا يعنى أنه إذا وجدت قضية يقينية فى نسق محدد فإن جميع قضايا النسق تكون يقينية، ولن تكون كذلك إلا بهذا الارتباط المحكم بين جميع الأجزاء[٩].

(٤-٦) يمكن القول إذن إن "فيشته" يبنى أنطولوجيا مجدَّدَة تخص الإنسان على وجه التحديد وعلاقته بالعالم الخارجى، وأولى مفاهيم هذه الأنطولوجيا هى نظرية المبادئ الأساسية للأنا، وتتحدد وظيفة المبادئ فى تأسيس الأنا بوصفها وجوداً بنائياً مدعماً لكل ما هو موجود، والتأكيد على ضرورة التسليم بها بوصفها بناءاً قبلياً يسبق كل تفكير ووجود.

٥- تتحدد المبادئ فى أنواع ثلاثة حيث تقوم الأنا فى كل مبدأ بالتأكيد على شكل من أشكال الوجود، فالمبدأ الأول تقوم فيه الأنا بالتأكيد على وجودها فقط بوصفه وجوداً أولياً، أما المبدأ الثانى فتقوم الأنا بتحديد العالم الخارجى بوصفه مقابلاً لها، وفى المبدأ الثالث تسعى الأنا للتأكيد على نفسها وعلى العالم الخارجى معاً عن طريق ضم المتقابلين (الأنا والآخر) فى هوية واحدة.

---

(٩) د. عبدالرحمن بدوى: "شلنج"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢، بيروت، ١٩٨١، ص ٢١.

المبدأ الأساسى الأول

٦- تقوم الأنا فى هذا المبدأ بالتأكيد على وجودها باعتبارها أساس كل وجود ومعرفة. وبالتالى فإن وعيها فى هذه المرحلة ينصب على نفسها فقط دون أن تلقى بالاً لغيرها. وتتميز الأنا فى هذا المبدأ بخاصيتين هما: أنه لايمكن البرهنة عليها لأن وجودها مطلق (فقرة -٤) وأنها ليست مستمدة من الواقع التجريبى وإن كان هذا الواقع لا يتقوم إلا بها.

بالنسبة للخاصية الأولى. فإن إثبات وجود شئ يعنى قابلية هذا الشئ للشك والتحوير، وغرض "فيشته" هو أنه لا يسعى لإثبات وجود الأنا بقدر ما يقدم تبريراً لوجودها بوصفها مبدأأولياً مؤسساً لكل وجود ومعرفة ولابد لهذا المبدأ أن يتصف بالثبات والإطلاق. أما الخاصية الثانية فيؤكد "فيشته" فيها على الأنا باعتبارها مبدأ قبلياً قائماً فى العقل وبالتالى لن تكون الوقائع التجريبية هى مصدر هذا المبدأ ـ وإن كان العالم لايمكن فهمه ومعرفته إلا من خلال الأنا ـ ولذلك فإن الوصول إلى الأنا يستلزم الارتفاع فوق جزئيات العالم، يقول "فيشته" إن هذا المبدأ لابد أن يعبر عن ذلك الفعل الذى لا يظهر بين الوقائع التجريبية لوعينا وإنما هو وحده الذى يجعل هذا الوعى ممكناً"(١٠).وبناء على هذا يلجأ "فيشته" إلى تجريد هذا الفعل من تحديداته التجريبية والارتفاع إلى مبدئه الأساسى حيث يمكننا عن طريق التأمل التجريدى أن ندرك أن هذا الفعل ينبغى أن يكون أساس كل وعى(١١).

إن فعل المعرفة إذن لايبدأ من العالم الخارجى إنما من الأساس الذى يعمل على بناء هذه المعرفة، وليس هذا الأساس تجريبياً، إنما هو تقرير وجود الأنا كمبدأ أولى مجرد من كل تعينات، حيث تقوم الأنا بهذا الفعل حين تعى نفسها باعتبارها ذلك المبدأ الأولى وبعد ذلك تعى

---

(١٠) Fiehte: S.K,p.93.

(١١) Ibid.

بمحتوياتها من عمليات عقلية ونفسية مختلفة بوصفها المالكة الوحيدة لهذه العمليات والوعى بها، وهنا تكون الأنا بمثابة طرف أول فى عملية المعرفة. تأتى بعد ذلك مرحلة تالية وهى الوعى بالعالم الخارجى كطرف ثان، وبهذا يتم الالتحام بين الذات والموضوع حيث يبنى لنا "فيشته" أنطولوجيا جديدة هى فى رأينا أنطولوجيا الذات والموضوع.

٧- يعرض "فيشته" نظريته المثالية من خلال إيجاد توفيق بين مبادئه العقلية وبين قوانين الفكر فى المنطق الصورى، فيقرر أن مبدأه الأول ومنطوقه (الأنا هى الأنا) يتطابق مع قانون الهوية المنطقى الأول (أهى أ) من حيث صوريته وصدقه وعمومه، وبناء عليه يرمز لقضيته (أنا هى أنا) بالرمز أ=أ أو أنا =أنا. ولكن "فيشته" يقرر أن القضية (أنا هى أنا) أو (أنا أكون أنا I am I) تختلف فى مضمونها عن الشكل المنطقى أ=أ، والاختلاف هنا من حيث الأهمية، فالقضية الصورية (أ=أ) مشروطة فى تأكيدها بوجود القضية (أنا أكون أنا)، بينما القضية الأساسية (أنا هى أنا) مؤكدة بصفة مطلقة غير مشروطه وهى صحيحة ليس فى صورتها فحسب وإنما فى محتواها أيضاً، وبناء عليه تنشأ علاقة ارتباط بين القضية الصورية أ=أ والقضية الأنطولوجية[١٢] (أنا هى أنا) - وهى علاقة عِلّيه فى رأينا - وتقوم على أساسها وجود (أ). فيقرر أن الشرط الأساسى لوجود (أ) هو أنها تستمد هذا الوجود من الأنا، ويرمز "فيشته" لعلاقة الارتباط بين الأنا و(أ) بالرمز (م) فيقول "تؤكد[١٣] الأنا على علاقة

---

(١٢) عبارة (القضية الأنطولوجية) من وضع الباحث، وسوف يورد سبب هذه التسمية فيما بعد.

(١٣) يستخدم "فيشته" الكلمة الألمانية Gesetzt ومعناها مُقرَّر أو محدّد، أما النسخة الانجليزية التى رجعنا إليها فيستخدم فيها المترجم اللفظة Posit. ومعناها يضع - يثبت - يؤكد. ولقد وجدنا أن معظم ماكتب عن "فيشته" بالانجليزية يستخدم كلمة Posit.وبناء عليه سوف نستخدم فى بحثنا الفعل، يؤكد "لاقترابه من المعنى المقصود عند "فيشته"، حيث يشتمل لفظ يؤكد على معنيى الاثبات والتحديد.

الارتباط بوصفها قانوناً مستديماً تصير نتيجته أن تتأكد أ بقدر ما تؤكدها الأنا وبناء على هذا توجد (م) حين ترتبط بـ (أ) على أساس أن الأنا هى التى تقوم بتأكيدها ومن ثم فالأنا هى التى تؤكد (أ) "[١٤] وهكذا يتوصل "فيشته" إلى أن الأنا تستمد وجودها من فعلها تأكيد نفسها وليس من الصورة المنطقية الدائمة (أ=أ)، صحيح أن هذه القضية المنطقية لها خصائص الصدق والدوام والعمومية. ولكن هذه الخصائص تكون على المستوى الصورى فقط. ولذلك يرفض "فيشته" أن يكون الصدق وتأكيد وجود الأنا مستمداً من الجانب الصورى ويرى أنه مستمد من فعلها الأصيل لتأكيد وجودها، حيث تصير علاقة الارتباط القائمة فى (الأنا هى الأنا) مستمدة من الأنا نفسها. ويعتبر "فيشته" هذه العلاقة بمثابة قانون قائم فى الأنا، ويرى أن هذا القانون ليس له مصدر أخر غير قدرة الأنا التى تقرره بنفسها دون الخضوع لأى سلطة خارجية، فيقول لقد ظهر لنا أن (الأنا هى الأنا) ليست معتمدة على أ=أ بل الأخيرة هى التى تعتمد عليها وبالتالى لايمكن استنباط القضية الأولى من الثانية، أما من حيث البدء بالقضية أ=أ فذلك لأننا أردنا أن نبدأ بشئ يقينى، لكنها برغم يقينها تعتمد على القضية (أنا هى أنا)[١٥]إذن فالبرهان على القضية أ=أ لايتم إلا عن طريق الأنا، أو قل إن جميع ما يوجد يستند فى وجوده إلى كونه موجوداً فى الأنا وبنا على هذا يتوصل "فيشته" إلى قضية أساسية هى "لايمكن أن توجد أ مالم تكن مؤكدة قبلاً فى الأنا"[١٦].

٨- أعلن "فيشته" فى المبدأ الأول عن وجود علاقة ارتباط مطلقة بين الأنا والأنا فى القضية (أنا = أنا)، وحقيقة هذا الارتباط هو أن الأنا وفعلها بمثابة وجود واحد، فهى حين تفعل تؤكد وجودها، وتأكيد الوجود هو تعبير عن الأنا أو هو الأنا ذاته، أى أن الأنا هى الوجود والوجود

---

(١٤) S.K.p.95.
(١٥) Ibid: p.99.
(١٦) Ibid: p.100.

هو الأنا، بعبارة أخرى الأنا عندما تفعل فإنها تؤكد وتثبت الأنا (الأنا الأولى تؤكد الأنا الثانية) وبالتالى يصير فعل الأنا هو تأكيدها لنفسها. ونتيجة لهذا يقرر "فيشته" أن القضية (أنا هى أنا) هى نفس القضية (أنا موجود) وتعنى أن فعل الأنا الأصيل هو تأكيدها لنفسها باستمرار لأنها لا تستمد وجودها من غيرها إنما هو فعل مردود إليها أو هو مخلوق وفى نفس الوقت مرتد إلى خالقه. إذن الأنا كفاعل هى نفسها الأنا كفعل وناتج هذا الفعل، فالفاعل والفعل وناتج الفعل هنا عبارة عن شئ واحد ولذلك نقول عن القضية (أنا موجود) أنها فاعل وفعل، ويعلن "فيشته" عن هذه الأفكار فى قوله " إن تأكيد الأنا لنفسها هو نشاطها الخالص، فالأنا تؤكد نفسها وبفضل تأكيدها تؤكد وجودها، فالأنا موجودة وتؤكد وجودها لمجرد كونها كذلك، ولهذا فالأنا هى الفعل وناتج الفعل معاً. والفاعلية ونتيجة الفاعلية متحدين"(١٧).وبناء على هذا لا يتوقف "فيشته" عند حدود الصورية الخالصة، إنما تعنى الصورية لديه عمومية القضية (أنا = أنا) لتشمل كافة الموجودات الإنسانية دون شرط الالتزام بأى مضمون واقعى جزئى، وإنما وصف الوجود فى أعلى درجات العمومية. ولذلك يسعى "فيشته" لإكساب هذه القضية الهوية الانطولوجية من خلال الفعل الذى تقوم به الأنا لتأكيد ذاتها، والانطولوجيا هنا تعنى شمول الخاصية لكافة أنواع الموجودات. وبناء على هذا فالقضية (أنا هى أنا) ليست صورية فحسب وإنما تقبل التحقيق الانطولوجى أيضاً، ولذا فنحن نرى أن قضية "فيشته" (أنا = أنا) تحمل معنيين أحدهما قبلى والآخر أنطولوجى، فأما القبلى فيقرر أن قضية (أنا هى أنا) هى قضية سابقة لكل تفكير وأساسية لكل معرفة، فلا يمكن التفكير فى شئ إلا بتقرير سبق الأنا لكل ما هو ممكن التفكير فيه، بينما يقرر المعنى الانطولوجى أن الأنا تنطبق على كافة الموجودات الإنسانية مثل القضية

---

(١٧) S.K:p., 96.

- أنظر أيضا: د.عبدالرحمن بدوى: شلنج، ص ١٣.

(كل موجود له كيف ويرتبط بعلاقة). تناول أرسطو هذه الفكرة تحت اسم الحقائق الضرورية التى نقوم بالتسليم بها دون برهان لأننا نصل إليها عن طريق ما يسمى بالاستقراء الحدسى الذى يعرض الكلى المتضمن فى الجزئى، فإذا رأيت فى حالة تجريبية واحدة أن (أ) تستلزم (ب) فإن كل (أ) لابد أن تستلزم (ب)، ولذلك. يكفينا لإقامة هذه القضية حالة تجريبية واحدة [١٨]، وهذه الحالة الواحدة هى القضية (أنا = أنا). ولكننا نرى أن القضية (أنا = أنا) ليست حالة تجريبية فحسب، وإنما يمكن أن نطلق عليها حالة أنطولوجية تنطبق على كافة الموجودات، بمعنى أن كل موجود واع هو (أنا موجود)، وكل (أنا موجود) هى محاولة لتأكيد الوجود. وهكذا يحاول "فيشته" أن يقدم لنا حلاً للمشكلة الميتافزيقية التاريخية وهى مشكلة العلاقة بين الفكر والوجود.

٩- ينسب "فيشته" خاصية الإطلاق للأنا وفعلها، فيقرر أن وجود الأنا وجود مطلق مستمر وبالتالى تدوم فى أداء فعلها الأصيل وهو تأكيدها لنفسها الذى تنطبق عليه أيضاً خاصية الإطلاق، بمعنى أنها تقوم بفعل تأكيدها لوجودها ولا تتوقف عنه مطلقاً. ويبرهن "فيشته" على خاصية الإطلاق عن طريق تحديد التطابق بين طرفى القضية (أنا هى أنا) متمثلاً فى العلاقة الترابطية القائمة بين الموضوع والمحمول، فيقول "إن الأنا تؤكد وجودها على نحو مطلق، هيا نسلم بأن ما يتم تأكيده على نحو مطلق هو الأنا التى تشغل موقع الموضوع الصورى فى القضية (أنا = أنا)، بينما حين تشغل الأنا موضع المحمول فإنها تكشف عن كونها موجودة exists لكننا نحكم عليهما أنهما متطابقتان تماماً ومعبرتان على نحو مطلق عن أن الأنا تؤكد نفسها ومن ثم فهى موجودة، وهى موجودة لأنها تؤكد نفسها"[١٩].وبناء على هذا يقرر

---

(١٨) د. محمود زيدان: قوانين الفكر الأساسية، مقال منشور فى الكتاب التذكارى عن زكى نجيب محمود، كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٨٧.

(١٩) S.K:p.98.

"فيشته" أن الأنا كموضوع تتساوى على نحو مطلق مع الأنا المحمول، لكنه يعطى العلاقة بين الموضوع والمحمول شكلاً أنطولوجياً عندما لا يقتصر الأمر بينهما على مجرد الحمل المنطقى بل يمتد إلى الوجود، فكلاهما يشتركان فى الوجود ويقيمان علاقة تربط بينهما. فأنا الموضوع تمنح أنا المحمول الوجود، أما أنا المحمول فتمنح الموضوع التحديد والمعنى. وبهذا نخلص إلى أن القضية (أنا = أنا) تحتوى ضمناً على تأكيد الأنا نفسها وإثباتها لوجودها، وهذا التأكيد وذاك الإثبات يتمان على نحو مطلق. ولكن هذا الترابط بين الموضوع والمحمول لا يعنى أن "فيشته" يقيم تمييزاً بين نوعين للأنا هما (الأنا موضوع) و(الأنا محمول) وإنما كل من الأنا الأولى والأنا الثانية يشكلان وجوداً واحداً لا يتجزأ، ولذلك يقرر "فيشته" أن الأنا كموضوع هى نفسها الأنا كمحمول فى القضية (أنا هى أنا)، وبناء عليه، فطالما أن الأنا تتأكد بصفة مطلقة، وطالما أن هنالك مساواة بين (الأنا والأنا) إذن يمكن التعبير عن القضية بهذه الطريقة (أنا أكون I am) أو (أنا موجود)[٢٠].وهذا يعنى أن الأنا وفعلها شئ. فكل فعل مردود إليها، وبناء عليه يكفى القول بالوجود للتعبير عن الأنا فنقول (أنا موجود) وهو قول كاف للدلالة على وجود الأنا والتأكيد على هذا الوجود.

١٠- يرى "فيشته" أن خاصية الإطلاق المنسوبة إلى الأنا تمنحها الصدق والمعقولية والدوام ويقرر أنه طالما أن الأنا مطلقة فى فعلها ووجودها فهى إذن صادقة صدقاً مطلقاً غير قابل للشك، وبما أنها كذلك فهى تصلح أساساً لكافة وقائع الوعى، وهنا يتوصل "فيشته" إلى قضية أساسية هى "تؤكد الأنا وجودها قبل التسليم بأى وجود آخر"[٢١].إن الأنا ليست فقط أساساً للفكر بل هى أساس أيضاً لكل ما يوجد فى الواقع التجريبى، وهى أساس أعلى نفترض مقدماً التسليم به قبل أى معرفة،

(٢٠) Ibid: p.96.
(٢١) Ibid: p.97.

فإذا تحددت معرفة أو فكرة فإن أساسها هو (أنا موجود).

١١- وعلى ضوء ما سبق يستنتج "فيشته" أن الأنا توجد من أجل الأنا وهذا الوجود لا يتم على مستوى جزئى إنما على نحو مطلق، وهذه هى مهمة المبدأ الأول وهى التأكيد على كينونة الأنا فقط، حيث لا يتوقف الأنا مطلقاً عن هذا التأكيد بل هى موجودة من أجله ومن أجل وجودها ولذلك فالأنا تؤكد بالضرورة على نفسها وهى ضرورية لنفسها ومن أجل نفسها، بعبارة أخرى "أنا أوجد من أجل ذاتى بل أننى أوجد من أجل ذاتى وأكون ضرورياً"(٢٢).وبناء على هذا يقرر "فيشته" أنه لايوجد أى تمييز بين تأكيد الذات لنفسها وبين تقرير الوجود، أوبين الفعل يؤكد Posit وبين الفعل exist، فكلاهما فعل واحد من أفعال الأنا يعبر تماماً عن كينونة هذه الأنا،" فالأنا التى تؤكد نفسها والأنا التى توجد متطابقتان تماماً إذ أن الأنا تؤكد نفسها حتى توجد وهى موجودة لأنها تؤكد ذاتها، وهنا نصل إلى القضية الرئيسية (أنا أكون ما أكون بطريقة مطلقة"(٢٣).ولذلك لاتبدأ الأنا من أى فعل فارغ، إنما تبدأ من فعل غنى فى محتواه وهو فعل تأكيدها المطلق لوجودها الذى تبنى عليه بعد ذلك شتى أنواع الموجودات الأخرى. وبذلك يتحقق المبدأ الأساسى الأول عند "فيشته" الذى يقرر أن الأنا تؤكد نفسها على نحو مطلق قبل أن تؤكد أى شئ آخر"(٢٤).

رؤيتنا للمبدأ الأول

(١٢-١) لايوجد تمييز فاصل بين الوجود واثبات هذا الوجود، فكلاهما فعل واحد حيث توجد الأنا حين تثبت نفسها وإثباتها لنفسها هو إثبات لوجودها.

---

(٢٢) Ibid: p.99.
(٢٣) Ibid:
(٢٤) Ibid:

(١٢-٢) الأنا عند "فيشته" فى المبدأ الأول موجود من أجل ذاته، والوجود من أجل الذات كما يصرح "فيشته" يعنى تأكيد وجودى فيقول "حين أوجد من أجل ذاتى أكون قد أكدت وجودى بالفعل"(٢٥). لكن لايعنى هذا إنحصار الذات فى نفسها كما فى مذهب "الأنا وحده" Solipsism، إنما هو عملية توحد مطلق بين الأنا والوجود، فلا نقول الأنا والوجود إنما نقول الأنا موجود، بل إن ذكر "الأنا" كاف لإثبات الوجود.

(١٢-٣) عرفنا أن القضية (أنا هى أنا) تعد بمثابة قضية قبلية أساسية للفكر والوجود، وهى تتفق فى المعنى مع القول (أنا موجود)، وهنا يمكننا أن نجد ثمة اختلافاً بين "ديكارت" و"فيشته" فى هذا الأمر. فالقضية (أنا موجود) عند "ديكارت" تعتبر نتيجة مستنبطة من الأنا أفكر وبالتالى تُحمل (الأنا موجود) على (الأنا أفكر)، وتصير قضية (الأنا أفكر) سابقة منطقياً على الأنا موجود، ونتيجة لهذا يظهر أمامنا تمييز واضح بين القضيتين. أما الوضع فيختلف عند "فيشته" لأن الأنا ـ كما يصوره ـ موجود ومفكر فى نفس الوقت دون تمييز منطقى أو تجريبى، فالوجود لا ينبنى على الفكر ـ كما هو الحال عند "ديكارت" ـ إنما الوجود والفكر عند "فيشته" فعل واحد متكامل يعبر عن كيان جوهرى أصيل هو الأنا الذى يشكل أساس كل ما يوجد فى الكون.

المبدأ الأساسى الثانى

١٣- لا تتوقف الأنا عند فعل توحدها مع نفسها، وإنما تمتد فى مسيرتها لتؤكد وجود المجال الذى تتفاعل فيه وتتصارع معه، ومن ثم لابد أن تختلف طبيعة هذا المجال عن طبيعة الأنا كيفاً وكماً وإلا صار هو الأنا نفسها وهذا لايجوز، فضلاً عن أن هذا الاختلاف يحدد نوع ما تتصارع معه الأنا لتؤكد نفسها والذى يتمثل فى كيان متميز عنها تماماً.

---

(٢٥) Ibid: p.100.

فإذا كانت الأنا وعياً فصراعها لن يكون مع وعيها إنما مع تعيه وهذا الأخير يشكل عالماً متبايناً عن الأنا، لكنه لايمكن أن يوجد بدونها. وهنا يعلن "فيشته" أن وجود الأنا يتطلب وجود اللا ـ أنا[٢٦].المقابل لها فيقول "وفقاً لعلم المعرفة فإن الوجود الأساسى لكل حقيقة عن الأنا هو ترابط أصيل بين الأنا وبين ما هو خارج عنها، وبعبارة أكثر دقة لابد أن يوجد مع الأنا ما هو مقابل لها"[٢٧]، فإذا كانت الأنا تؤكد نفسها فى المبدأ الأول من خلال فعاليتها التى تعد بمثابة الأساس العقلى للوعى، فإن هذا الوعى لا يتقوم فقط من أجل الذات ووعيها بنفسها إنما لابد أن يعكس أيضاً وجود العالم الخارجى الذى يمثل حدود خبرتى وتجربتى حين أحدد جزءاً من هذه التجربة خارج ذاتى خالقاً من هذا الجزء موضوعاً خارجياً أسلم به ليس هو ذاتى. وطالما ذلك كذلك فلابد للوعى أن يسلم بوجود شئ ما ليس هو الأنا التى ينتسب إليها إنما هو (لا ـ أنا) بوصفه عالماً خارجياً متميزاً، لكن ليس هذا العالم الخارجى منفصلاً عن الأنا تماماً، بل هو عالم تتعقله الأنا وتعيه وتتفاعل معه وتمارس به فعاليتها وتتحقق فيه، ولذلك لا يتوقف "فيشته" عند حدود المقابلة وحدها بل يؤكد على وجود ثمه تفاعل وتداخل بين العالمين متمثلاً فى استمرار (وجود اللا ـ أنا) من خلال عملية نشطة تقوم بها الأنا، وبناء على هذا يعلن مبدأه الثانى وهو (الأنا تؤكد اللا ـ أنا) Self Posits non - Self ويمثل التأكيد أو التحديد عامل الربط فى الثنائية التقليدية بين الذات والموضوع، فالعالم الخارجى موجود ولا يستعصى وجودة على إدراك الأنا بل هو متاح لها تماماً. ومما لاشك فيه أن "فيشته" قد أدرك بثاقب فكرة تلك المشكلة التى ظهرت فى ميتافيزيقا باركلى فى قوله (الوجود هو المدرك)، فالعالم الخارجى عند "فيشته" موجود وله خاصية الاستقلال لأنه (ليس أنا) لكن هذا الاستقلال ليس مطلقاً على أساس أن الأنا تتدخل

---

(٢٦) تترجم إلى الانجليزية بمعنيين non- ego أو not self

(٢٧) S.K.:p246.

فى فهمه وتشكيله وقد بدا هذا واضحاً فى قضيته (الأنا تؤكد اللا ـ أنا). ولذلك لا يحاول "فيشته" إثبات وجود العالم الخارجى كما فعل "ديكارت"، إنما يعتقد اعتقاداً جازماً فى وجوده بوصفه قضية يقينية لا تحتاج برهاناً ومن ثم فالسؤال لا يكون "هل يوجد عالم خارجى أم لا" إنما يكون هل لهذا العالم أهمية وقيمة عملية أمام الذات.

١٤- يتحدد محور المبدأ الثانى عند "فيشته" فى تأكيده على وجود مقابل الأنا بوصفه موجوداً له خصائصه المميزه، فإذا قلت (الأنا) لزم أن تأتى بمقابلها وهو اللا أنا وهذا اللزوم ليس صورياً فقط وإنما هو أيضاً لزوم تجريبى بوصفه واقعة من وقائع الوعى التجريبى، فالصورية تعنى أن (أ) يقابلها (لا أ) ومنطقياً (أ) ضد (لا أ)، أما اللزوم التجريبى فيعنى أن الأنا تتقابل مع اللا ـ أنا بوصفه مجالاً مختلفاً عنها تتعامل معه من خلال فعلها. ولذلك فليس فعل الأنا فى رأينا هو فعل السلب أى سلب صفات من (أ) ليكون (لا أ) إنما الفعل هو تقرير وجود وتأكيد فاعلية الأنا فى وسط متباين عنها يظهر على الدوام فى هيئة مقابل لها ولايمكن أن يكون إلا كذلك.

وفكرة تحديد المقابل فكرة أصيلة فى الفلسفة ظهرت عند أرسطو فى القانون الثانى من قوانين الفكر، وفيه يعلن أن الموجود لا يجتمع مع ما يقابله فى نفس الزمان والمكان، وبالتالى فالحقيقة ثابتة موجبة لاتحمل نقيضها أو كما قال الفلاسفة المسلمون (النقيضان لايجتمعان معاً). قَبَل "فيشته" هذا القانون فى جانبه الصورى والتجريبى لكنه اختلف بشأن (المقابل)[٢٨]، فقد تعامل "أرسطو" مع المقابل بوصفه خاصية سالبة سواء كانت تجريبية أو صورة منطقية خالصة. أما "فيشته" فتعامل مع المقابل بوصفه موجوداً واقعياً وليس فكراً أو سلباً فحسب فقد أضاف إلى

---

(٢٨) بالألمانية Gengentheil وبالإنجليزية Opposite وتترجم بمعنى المقابل أو الضد، لكننا فضلنا اللفظة العربية (المقابل) ـ أنظر تفصيلاً لهذا الموضوع فى الفقرة ١٧.

صورية قانون أرسطو خاصية موضوعية تتمثل فى التحقيق الواقعى للمقابل فى هيئة اللا ـ أنا أو العالم الخارجى المواجه للأنا وهو المجال الذى تتفاعل معه. وبهذا تتحول الصورة السلبية للقانون الأرسطى إلى وجود موجب عند "فيشته" يسمح باجتماع المتقابلين معاً فى آن واحد، لأن المقابل فى هذه الحالة لن يكون النقيض إنما (الموجود ــ مع). لكن كيف يجتمع المتقابلان؟ أو بلغة "فيشته" كيف تؤكد الأنا على اللا ـ أنا؟

يقرر "فيشته" مجيباً عن هذا التساؤل أنه كما أن الأنا موجودة على نحو مطلق، وأن وجودها لا يخضع لأى شرط فكذلك يوجد مقابلها. وعندما تقوم الأنا بتحديد نفسها فإن تأكيد اللا ـ أنا وارد ضمن هذا التحديد، وبناء على هذا لابد أن يوجد المقابل وجوداً دائماً بوصفه جزءاً من التحديد وفعلاً من أفعال الأنا. يقول "فيشته" "طالما أن القضية (لا أ ليست هى أ) تحدث ضمن وقائع الوعى التجريبى فإنه يتم أيضاً ضمن أفعال الأنا تأكيد المقابل لها"[٢٩]. وهكذا تقوم الأنا بمهمة أساسية، فهى بجانب تأكيدها لنفسها تؤكد أيضاً على وجود اللا ـ أنا متمثلاً فى وجود ما هو غيرها، وهذا إن دل فإنه يدل على أن فعل الأنا ليس مقصوراً على نفسها فقط وإنما يتضمن أيضاً كل ما هو مقابلاً لها.

١٥- ينسب "فيشته" خاصية الإطلاق لفعل الأنا تأكيد مقابلها أى اللا ـ أنا، والإطلاق عنده يحتمل معنيين أولهما أن اللا ـ أنا موجود مستمر فى الوجود ولايمكن إنكار وجوده وهو على الدوام فى حالة تواز وجودى مع الأنا وهذا يجعله حائزاً على الخاصية الانطولوجية وليس موجوداً فقط على المستوى التجريبى[٣٠].أما ثانى المعنيين فهو أن الأنا تمتد بفعلها إلى اللا ـ أنا، وبالتالى فإن خاصية الإطلاق التى تحوذ عليها اللا ـ أنا متوقفة على الأنا، وهذا يعنى أن تأكيد اللا ـ أنا يُعامل كفعل من أفعال الأنا ولايمكن

(٢٩) Fichte: S.K.:p.,103.

(٣٠) انظر تفصيل هذه الفكرة فى فقرة ٨.

أن يتأكد وجوده إلا بعد تأكيد الأنا لنفسها على نحو مطلق "فعن طريق الفعل المطلق للأنا يتم تأكيد المقابل، وكل مقابل من حيث هو كذلك لا يتأكد إلا بفعل الأنا، وليس هنالك أساس غير هذا"[٣١]. والسبب فى لجوء "فيشته" لخاصية الإطلاق هو اعتقاده فى ضرورة وجود قضية قبلية مسلم بها أولياً بوصفها أساس كل تفكير وتجربة بحيث لايمكن التفكير فى شئ دون التسليم مسبقاً بوجود الأنا، ويقول فى هذا الأمر "ينبغى أن نفترض مقدماً القضية (أ= أ) أى (أنا = أنا) من حيث كونها معروفة ومسلم بها من أجل الفكر، وهذه الفاعلية ليس لها أساس نهائى أعلى ترتكز علية غير ذاتها"[٣٢].وبناء على هذا يتحدد الأساس المطلق للأنا وفعلها حيث ينطبق هذا الإطلاق أيضاً على فعل الأنا لتأكيد المقابل، ويعنى هذا التأكيد أمرين هما استمرار وجود اللا ـ أنا فى هيئة عالم خارجى له مميزاته الخاصة، وكذلك استمرار تحقق فعل الأنا فى العالم أو مع اللا ـ أنا، وهنا يتحدد التأكيد عن طريق الفعل المطلق الذى يتم فيه تأكيد المقابل من حيث كونه كذلك بفضل فعل الأنا.

١٦- يتحقق فعل تأكيد المقابل بشرط وحدة الوعى التى تتضمن تأكيد الأنا لنفسها ولمقابلها، فإذا لم يرتبط الوعى الأول بالثانى ما وجد تأكيد مقابل، بل يوجد فقط تأكيد على أنا مطلق[٣٣] لكن "فيشته" يقر بضرورة وجود عالم خارجى واستحالة الشك فيه فيقول "أعتقد أننى أعرف الآن جزءاً كبيراً من العالم الذى يحيط بى ولم أضن بجهد أو عناية لتحقيق ذلك إذ أننى لم أصدق إلا فيما اتفقت عليه شهادة الحواس والتجارب المتكررة، فلقد لمست ما رأيت وحللت وعاودت الملاحظة عدة مرات وقارنت بين مختلف الظواهر ولم أصدق فيما توصلت إليه من نتائج إلا بعد أن تبينت الروابط التى تربط بين هذه الظواهر، وتمكنت من تفسير كل ظاهرة بالأخرى، وكنت أتوقع النتيجة فيثبت لى

---

(٣١) S.K.:p97.

(٣٢) S.K.:p97.

(٣٣) سوف يتم شرح ذلك فيما بعد

بالملاحظة أنها تتفق مع استدلالاتى، ولهذا أصبحت الأن موقناً بصحة هذا الجزء من معارفى كما أوقن بوجودى"[٣٤] وواضح من هذا النص ذلك التأثر البين الذى تركه كنط على فيشته، فلقد قرر كنط عدم إمكان الشك فى وجود العالم الخارجى واعتبره مسلمة يجب البدء بها أو قضية يقينية بشكل عام. وبناء على هذا فالعالم الخارجى ـ كما هو عند كنط وفيشته ـ ليس عسيراً فى معرفته لأن الأمر هنا هو ليس إثبات وجود العالم وإنما هو كيفية معرفته وفهم طبيعة علاقاته، وبمعنى أدق تحديد علاقته بالأنا التى تدركة وتنظمه. ولذلك لاتوجد عند "فيشته" أية معوقات فى معرفة العالم ولكن المشكلة هى وجود الأنا التى تعى وتفهم وتنظم هذا العالم. ولذلك نرى أن تأكيد الأنا على اللا ــ أنا معناه التأكيد على وجود ما غير الأنا التى تؤكد، ولابد لنا أن نسلم بهذا الغير تسليماً مطلقاً بوصفه مقابلاً للأنا على الدوام، والتسليم هنا لايعنى الاقتناع بوجود عالم خارجى فحسب إنما هو تأكيد على أهمية فعل الأنا المطلق.

وهكذا لايقوم فيشته باثبات وجود عالم خارجى، إنما يقرر بنية الوجود عامة حيث تعتمد هذه البنية على جانبين هما تأكيد الأنا لنفسها وتأكيدها للعالم الخارجى أو اللا ـ أنا، وهما فعلان متلازمان على الدوام على نحو ضرورى، وهنا يصل فيشته إلى صياغة قضية أساسية هى "كل ما ينتمى إلى الأنا يجب أن ينتمى مقابله إلى اللا ـ أنا"[٣٥].

رؤيتنا للمبدأ الثانى:

١٧- هنالك من يرى أن فكرة اللا ـ أنا عند فيشته تعتمد على استخلاص اللاوجود من الوجود، لكننا نرى غير ذلك، فهذه الفكـ ة

---

(٣٤) فيشته: غاية الإنسان، دراسة وترجمة د. فوقية حسين محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.

(٣٥) Ibid:p. 104.

لاتجوز على نظريته لأنه يسعى إلى تأكيد مقابل وليس لتأكيد النقيض. فإذا أقررنا بفكرة استخلاص اللاوجود من الوجود، فإن هذا يجوز فى صورة السلب، لكن ميتافيزيقا فيشته لاتسعى لتأكيد السلب إنما تتجه نحو ماهو موجب، فاللا ـ أنا التى تماثل اللاوجود ـ كما يدعى البعض ـ هى عند فيشته وجود محدد وكيان معلوم، فهلا يتعامل الأنا مع (لاشى)، إنه لابد أن يمارس فعاليته فى نطاق وجود ما، وبطبيعة الحال لابد أن يتميز هذا الوجود بخصائصه عن خصائص الأنا، وقد يكون هذا الوجود المتمايز، أو الكيان المعلوم الذى نطلق عليه اللا ـ أنا متمثلاً فى الذوات الأُخَر أو فى موضوعات مادية مستقلة، ولكنه يثبت قدرته وفعاليته ومقاومته لنا، وهذا يعنى أن اللا ـ أنا هو قوام قائم بشيئيته فيزيقياً وفى نفس الوقت مرتبط بالأنا عملياً من حيث كونه مجالاً تمارس فيه الأنا فعلها.

بناء على ما سبق، فإن المبدأ الثانى عند فيشته ليس سلب الوجود، إنما بيان أن خصائص هذا الموجود لا توجد عند الموجود الآخر أو يوجد ما يقابلها، وقد يكون هذا المقابل هو الضد فإذا قلت (أ) ليست (ب). فهذا يعنى أن ب هى لا أ ، ويعنى أيضاً أن ب لا تمحو (أ) من الوجود إنما تحمل خصائص ليست فى طبيعة (أ)، بل من طبيعة ب. وهكذا يتحدد أمامنا موجودان، كل منهما له كيان متميز عن الآخر هما (أ) و(ب)، فإذا كان (أ) غير مدخن فإن (ب) مدخن، أو إذا كان (أ) طويل فإن (ب) قصير. إذن السلب هنا قائم بين موجودين لهما كيانهما المستقل، ولذلك لا نقول إن (أ) تتناقض مع (ب)، إنما نقول إن (أ) تقابل (ب). ولذلك لم يتوافق القانون الأرسطى الثانى مع مبدأ فيشته الثانى. فهو لا يتحدث عن ذلك الموجود الواحد الذى يلغى بوجوده وجود مقابله أو ضده، لإنما يتحدث عن موجودين مختلفين فى الخصائص. فإذا وجد أ فلابد أن يوجد ما يقابله وهو (لا أ)، وهذا الأخير موجود متميز يحمل صفات تختلف وقد تناقض مع (أ)، لكنه فى نفس الوقت يحمل صفاته الإيجابية المتوافقة مع طبيعته، وبالتالى فإن صفات (لا أ) لاتتناقض معه

وقد يكون (لا أ) هذا هو (ب) أو (س) وهكذا. يمكننا أن نقول أيضاً أن ثمة تزامنا بين (أ) و (لا أ) أو بين الأنا واللا ـ أنا حيث يجتمعان معاً فى نفس الوقت، والسبب راجع إلى كونهما كيانين مستقلين.

المبدأ الثالث الأساسى

١٨- سعى فيشته فى مبدأيه السابقين إلى تقرير وجود كيانات متقابلة مستقلة، فالأنا تؤكد وجودها بفعل الوعى الأصيل بيد أنها لاتنعكس على ذاتها فقط تاركة الوسط الذى تحيا فيه إنما تضعه فى اعتبارها بوصفه كياناً مستقلاً له خصائصه المحددة والمتميزة. لكن فيشته لا يتوقف عند حدود المقابلة بل ينطلق ليحرك المتقابلين من أجل تحقيق التفاعل فى الوجود، وهذا التفاعل لا يتحقق فقط من تأكيد التفرد للأنا وللأخر (اللا ـ أنا) ـ وقد بدا ذلك فى المبدأين السابقين ـ بل هنالك المبدأ الثالث الذى يؤكد على ضرورة الجمع بين المتقابلين لكشف أساسية التفاعل صورياً وواقعياً.

١٩- بدا اللا ـ أنا ـ كما وظفه فيشته ـ موجوداً مستقلاً، وقد أعلن هذا فى كتابه "علم المعرفة" وزاده تأكيداً فى "غاية الإنسان"، ويصرح فيه أن ثمة أموراً فى الطبيعة مضطر إلى قبولها كموجودات قائمة بذاتها متميزة بخصوصيتها وكيفياتها. فهنالك أشجار وحيوانات ومنازل الخ. ويرى أننا لدينا اعتقاد أصيل بأننا نعمل من خلال موجودات مستقلة عنا، فضلاً عن استحالة إنكار هذا الاعتقاد تحت أية ظروف[٣٦]. لكن المشكلة لديه ليست حصراً أو تصنيفاً لقوائم الموجودات، وإنما تتحدد فى كيفية التعامل مع ماهو مستقل عنا. ويحدد فيشته مهمته فيقرر أن الفلسفة المثالية تسعى لتفسير وقائع الوعى بالاعتماد على مبادئها الأساسية وليس رفض هذه الوقائع. فالأنا تعترف بوجود اللا ـ أنا المستقل عنها

---

(٣٦) فيشته : غاية الإنسان، ص ١٠٤.

لأنها تأخذ منه فاعليتها بوصفه مجال فعلها المباشر حيث يؤثر اللا ـ أنا تأثيراً سببياً عليه، وفى هذه الحالة يكون الأنا منفعلاً بموضوعات اللا ـ أنا من خلال وعيه التجريبى، وهذا يعنى أن اللا ـ أنا يمارس فعله وضغطه على الأنا وهو بهذا الفعل يؤكد وجوده ككيان مقابل للأنا ويؤدى دوراً محدداً فى نظام العالم الطبيعى. ولذلك فإن انفعال الأنا هو فعل اللا ـ أنا أى أن كل تأثير يخضع له الأنا يكون سببه المباشر هو اللا ـ أنا، وهنا تكون الأنا موجوداً سلبياً مزعناً لموضوعات اللا ـ أنا دون تدخل من جانبه، "إن تأكيد اللا ـ أنا لنفسه يعنى خفوت الأنا وبزوغ الآخر، بمعنى أن تأكيد اللا ـ أنا يلغى الأنا أو تأكيد أحد الحدود يلغى الحد الآخر".[٣٧]غير أن فيشته لا يتوقف عند هذا الحد استناداً للمبدأ الأول بشأن ضرورة إثبات الأنا لنفسها إذ يتحدد الآتى:

(١٩ – ١) الأنا تصور قبلى ضرورى فى تقرير وجود الشئ أو التفكير فى شئ.

(١٩–٢) الأنا كيان واقعى وفاعلية وتشكيل وجود.

بناء على هذا فإن اللا ـ أنا يستمد وجوده من شرعية وجود الأنا، ومن ثم فالواقعية التى يحصل عليها اللا ـ أنا تتحدد وفقاً للانفعال الذى يقوم به الأنا، يقول فيشته "يتأكد اللا ـ أنا فى الأنا لأن الأنا يتقابل معه، بيد أن تأكيد اللا ـ أنا كمقابل يفترض قبلاً هوية الأنا، فلا يمكن تأكيد اللا ـ أنا إلا بالقدر الذى يقوم الأنا بتأكيده"[٣٨]، وبالتالى لن يكون الأنا موجوداً سلبياً وإنما هو موجود واقعى، أما موقفه من اللا ـ أنا فهو موقف المدْرِك المنفعل بما للا ـ أنا من قدرة محددة على التأثير ومن ثم يتقبل الأنا من مؤثرات اللا ـ أنا وفقاً لما يرغبه هو وليس وفقاً لضغط اللا ـ أنا.

---

(٣٧) S .K.,P. 106

أنظر أيضاً: د. عبدالرحمن بدوى: شلنج ص ٥١

(٣٨) Fichte: S.K., p.100.

٢٠- نستنتج مما سبق أن ثمة عودة للتقابل ولكن فى هيئة تعارض يجمع كيانين يحاول كل واحد منهما تأكيد ذاته وإلغاء الآخر. ولعملية الإلغاء مغبة وخيمة وهى أنه يتسبب فى القضاء على هوية الوعى. والوعى يتضمن جانبين: وعى الأنا بنفسها ووعيها بالعالم الخارجى بوصفه مجالاً تؤكد فيه وعيها وبالتالى فإن إلغاء الوعى يعنى هدم أساس المعرفة المطلق إذ أن المعرفة فى أساسها قائمة على هوية الوعى الذى يمثل فى الحقيقه كشفاً لهوية الأنا"، إن فعل تأكيد الأنا لنفسها وتأكيدها للا ـ أنا هما فعلان أصيلان للأنا يترتب عليهما وجود الوعى ذاته الذى يمثل فعل تأكيد الأنا لذاته"[٣٩].

نخلص مما سبق إلى بيان أهمية فعل الإلغاء إذ أنه ضرورى فى التأكيد على وجود أحد المتقابلين، ولكن بالرغم من هذا إلا أنه يسبب مشكلة لأنه يعمل على سيادة مقابل واحد فقط فى الوجود دون الآخر وهذا لا يجوز لأن الوجود يتقرر بضرورة وجود المتقابلين معاً. ولذلك لابد أن نجد طريقة تجمع بين التفكير فى الأنا واللا ـ أنا دون أن يلغى أحدهما الآخر. وهنا يقرر "فيشته" أن وجود الطرفين معاً يتحقق من خلال ضرورة أن يحد To Limit كل واحد منهما الآخر، ومعنى التحديد هنا هو جزئية فعل الإلغاء حيث يقوم أحد الطرفين بإلغاء الآخر فى خصائص جزئية محددة وليس فى كل الخصائص. ويرى "فيشته" أن فعل التحديد يعتمد على فكرة قابلية الانقسام Divisibility وتعنى أن جواز الجمع بين المتقابلين يعتمد على عدم تحديد الفاعلية الكلية لكل مقابل، فشرعية التحديد لا تنسحب على الكل بل على الجزء، ولذلك لابد أن ينقسم كل مقابل إلى أجزاء حيث يسمح للآخر أن يلغى أجزاء محددة فقط وليس جميعها. إن كل مقابل يمثل كلاً حينما ينعكس على ذاته، لكن هذا الكل ليس وحدة صلبة إنما هو وحدة تحتوى أجزاء، ومن ثم يكون قابلاً للقسمة، وبناء عليه يمكن أن تقوم ثمة علاقة تبادلية بين المتقابلين على مستوى الأجزاء

---

(٣٩) Ibid : p 107.

فقط. ولذلك يقرر "فيشته" أن الأنا واللا ـ أنا يقومان معاً بعملية تحديد جزئى لبعضهما البعض اعتماداً على قاعدتين أولهما أنهما قابلين للانقسام، وثانيهما أنهما ليسا من طبيعة واحدة[٤٠]. وترجع أهمية هذا التحديد الجزئى ـ كما يقرر فيشته ـ إلى كونه يبرز طبيعة المتقابلين "فيمكنك أن تقول عن أحدهما إنه يمثل شيئاً ما، فالأنا موجود أولى أو موضوع وبالتالى لايمكن أن يكون غير ما هو عليه[٤١]. كذلك يتحقق للا ـ أنا نفس درجة الوجود بوصفه مقابلاً للأنا حيث يقوم بتشكيل الواقع الموضوعى، وهذا يعنى أن العالم الخارجى قائم بالفعل ويتحقق وجوده أكثر عن طريق ممارسة الذات لنشاطها (فإن أنت أفنيت الذات فقد أفنيت العالم) [٤٢]. وبناء على هذا يتم الاتحاد بين الأنا واللا ـ أنا فى تشكيل قوام هذا العالم عن طريق مبدأ التحديد الجزئى المتبادل الذى يكشف عن طبيعة المتقابلين بوصفهما كيانات واقعية متحددة وقابلة للإنقسام.

٢١- صار المبدأ الثالث هو مبدأ التركيب أو الجمع بين المتقابلين. ولقد وضح أن فعل التركيب فى هذا المبدأ يسير عكس القانون المنطقى الأرسطى الثالث، فإذا كان القانون المنطقى يقرر أن الموضوع إما أن يكون (ب) أو (لا ب) ولا وسط بينهما، وهذا يعنى أن المقابلة عند أرسطو كانت بين محمولين يقفان أمام موضوع واحد حيث يتخير الموضوع أحدهما، وبارتباط المحمول بالموضوع يصير خاصية موجبة، بينما إذا انفصل عنه صار سلباً، فالقضية "الوردة حمراء" تعنى أنها ليست بيضاء و(حمراء) هنا هى خاصية موجبة لأنها ارتبطت بموضوع محدد وصار لها وجوداً واقعياً. أما (ليست بيضاء) أو (لا ب) فهى خاصية سالبة ليس لها وجود واقعى، وبناء عليه فإن المقابلة عند

---

(٤٠) Ibid : p. 108.

(٤١) Ibid : p. 109.

(٤٢) عثمان أمين: رواد المثالية فى الفلسفة الغربية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٧،

أرسطو تكون بين موضوع وبين خاصيتين أو محمولين أحدهما موجب هو (ب) والثانى سالب وهو (لا ب)، ولذلك فمن الممكن تحريكهما ليستبدلا وضعهما فى النسق المنطقى، فيمكن للمحمول السالب (ليست بيضاء) أو (لا ب) أن يكون (ب) حين نقرر أن (الوردة بيضاء) وتصير (حمراء) بطبيعة الحال (ليست حمراء) أو (لا ب).

٢٢- أما الأمر عند فيشته فهو جد مختلف لأن المقابلة لا تتم عنده بين موضوع ومحمولين وإنما بين موجودين أو موضوعين لكل واحد منهما كيان محدد لا يشترط أن يُحمل أحدهما على الآخر، وبالتالى يتعامل فيشته مع (حمراء وبيضاء والوردة) ككيانات واقعية لا تكون المقابلة فيما بينها إنما تكون بين الأنا أو الذات المدركة وبين الموضوع المدرك بشتى أنواعه وبذلك تصير القضية مركبة فى هيئة مقابلة بين ذات وموضوع أو أنا ولا أنا، ويصير التركيب بناء أنطولوجياً يقيم علاقات تفاعلية متبادلة بين الموجودات وترجع أهمية فعل التركيب إلى جعل الموجودات متحدة، فقد ظهر فى المبدأ الأول أحادية الحدود وظهر التقابل فى المبدأ الثانى، لكن بالرغم مما بين المتقابلين من بون شديد إلا أن المبدأ الثالث يجيز اجتماعهما فى كل واحد وهو القضية المركبة Symthesis ويقرر فيشته أن المتقابلين لا يتوقفان عند حدود التقابل فى القضية المركبة بل تستمر العملية فى الكشف عند حدود جديدة تتحقق نتيجة التقابل وتظهر فى صورة المعرفة. وهذه المعرفة لا تضيع هباء وإنما يندمج المتقابلان فى محتوى أعلى يضمن الاستمرار" فباتحاد الأنا واللا - أنا يمكننا الكشف عن خصائص جديدة تندمج فى مضمون أعلى، وبهذا يتكون الشكل الاساسى للوجود وهو الفكرة ومقابلها والتركيب، ولايمكن وجود أحد الأطراف الثلاثة دون الآخر"(٤٣).

٢٣- وبناء على هذا يكشف لنا المبدأ الثالث أن كل المتقابلات الموجودة

---

(٤٣) S.K:p.113.

فى النسق لابد أن ترتد إلى تصور أساسى كلى يشمل كل الأطراف المتضادة، فالذهب والفضة يدخلان فى تصور المعدن، لكن هذا التصور لا يلغى كونهما مختلفين.(٤٤) وهذا التصور الكلى هو الأنا المطلقة absolute ego. وبهذا يتوجه فيشته إلى إتخاذ موقف المثالى المطلق فيقرر أن الأنا واللا ـ أنا هما مجرد مظاهر لروح مطلق أو ذات عليا من شأنها أن تشمل الوجود بأسره. وتمثل هذه الأنا المطلقة العلة الانطولوجية والأساس القبلى لشتى موضوعات الفكر والوجود، وركيزة أساسية لتشكيل عناصر الوعى، ولذلك فهو تقوم بالتأثير فى العالم التجريبى دون أن تكون هى نفسها تجريبية، يقول فيشته " لايوجد ما يحدد الأنا المطلقة ولا يوجد ما هو أعلى منها لأنها هى نفسها تشكل الأساس الأعلى لجميع الأشياء وتحدد بقدرتها كل ما هو موجود"(٤٥) ويقرر فى موضع آخر " إن حقيقة الأنا المطلقة تكون مستقلة بينما يعتمد كل موجود عليها"(٤٦)

وتكشف الأنا المطلقة عن نفسها بوصفها حضوراً أبدياً خارج حدود التجربة، وبالتالى فهى ليست أنا وأنت كشخصيات متناهية وإنما هى أساس وجودنا فى عالم واحد مشترك، إنها أن عليا قامت لتحديد الأشخاص المتنوعة إذ هى مبدأ التنوع والوحدة فى الوجود، فضلاً اشتمالها على كافة الحدود المتناقضة، فيستوى فيها الوجود والعدم والوحدة والتنوع والانسجام والتنافر الخ. إنها وحدة متطابقة مع نفسها تمثل ـ فى رأينا ـ طاقة الخلق التى تهب الوجود الحياة وتشبه موناد ليبنتز والعقل الخالص عند كنط. ولذلك فهى فى رأى فيشته تعمل بحرية كاملة دون خضوع إذ أن فعل الخلق والإبداع يعد فعلاً ضرورياً من أفعال هذه الأنا المطلقة والسبب فى هذا هو طبيعتها الفاعلة، وهى فاعلية

---

(٤٤) Ibid : p. 116.

(٤٥) Ibid : p. 117.

(٤٦) Ibid : p. 230.

لا متناهية.[٤٧] ولذلك فهى تحرك الأنا المتناهية وتهبها القدرة على الفعل والتأثير فى اللا ـ أنا. ولكى تحقق الأنا المتناهية (أنا وأنت) أهدافها وجب عليها أن تكافح وتناضل ضد العقبات التى تظهر لها فى موضوعات العالم التجريبى (اللا ـ أنا) والتى تقاومنا باستمرار، بيد أن بدون هذه العقبات لن يوجد الانتصار الذى تحقق به الأنا وجودها. وهكذا يقيم فيشته مجتمعاً يشمل كثرة من الذوات، إنه العالم المشترك الذى تتشكل به بالضرورة علاقات حميمة بين الأفراد حيث تسهم هذه العلاقات فى خلق القوانين العامة للفكر، ويظهر هذا فى فكرة الأنا المطلقة التى تؤكد وجود عالم مشترك حيث تقوم الذوات بتشكيله[٤٨]. وبناء على هذا يقرر فيشته أن الأنا المطلقة تقوم بتحديد الأنا المتناهية واللا ـ أنا المتناهية، والتحديد هنا يعنى ذلك الفعل الذى يقوم به المتقابلان وفقاً لأوامر الأنا المطلقة، وهنا يصل فيشته إلى منطوق المبدأ الثالث وهو " الأنا تحدد فى الأنا لا ـ أنا قابلة للإنقسام فى مقابل الأنا القابلة للانقسام أيضاً"[٤٩].

٢٤- حدد فيشته فى المبدأ الثالث فعلين أساسيين هما:

ـ الأنا تؤكد على نفسها بوصفها متحددة باللا ـ أنا، وهذا هو مبدأ العلم النظرى.

ـ الأنا تؤكد على اللا ـ أنا بوصفه متحدداً بالأنا وهذا هو مبدأ العلم العملى.

ينتج لنا من الفعل الأول أن الأنا ينفعل ويتأثر باللا ـ أنا، وأن اللا ـ أنا موجود فعال مؤثر على الأنا، بل إن الأنا موجود منفعل متأثر باللا ـ أنا وبالتالى يبدو لنا أن الأنا موجوداً سلبياً، ولكنه لا يكون كذلك

---

(٤٧) Ibid : p. xvii

(٤٨) Ayken : The age of Ideology, p.60.

أنظر أيضاً: W.K. Wright: History of Modern Philosophy, p303-304

(٤٩) S.K:p.110.

استناداً إلى سببين مستمدين من المبدأ الثالث أولهما تأكيد فيشته على مبدأ التحديد المتبادل بين المتقابلين الذى يقرر ضرورة حدوث التحديد بينهما جزئياً وليس كلياً، وهذا يعنى أن الأنا ليس موجوداً مذعناً إذعاناً كلياً لمقدرات اللا ـ أنا وإنما يسمح لتأثيره عليه جزئياً فقط(٥٠) أما السبب الثانى فيقرر فيه فيشته أن الأنا هى التى تحدد نفسها فى تأثرها بالعالم الخارجى، وهذا يتضح فى قوله (الأنا تؤكد نفسها بوصفها متحدده ـ باللا ـ أنا) ومعنى هذا أن الأنا تحدد لنفسها حدود التأثر بالعالم الخارجى وبالتالى تعى تماماً بمقدار الجزء الذى تسمح به للا ـ أنا لكى يؤثر عليها، ويؤكد فيشته على هذا المعنى فى فكرة الفاعلية activity، إذ أن الأنا ينفعل باللا ـ أنا بناء على فاعليته هو نفسه، فالتأثير الناتج من اللا ـ أنا هو جانب يسمح به الأنا نفسه ويقول فى هذا الأمر "وبما أن الأنا فعالة فهى تنقل فاعليتها إلى اللا ـ أنا حيث ترتد إليها الفاعلية عن طريق اللا ـ أنا(٥١) ولذلك يطلق فيشته على هذا الفعل اسم الفاعلية المستقلة independent activity والمقصود بها أن تأثير اللا ـ أنا على الأنا هو تأثير جزئى فقط بيد أن هذا لا يوضع إلا عن طريق الأنا لأن فاعلية الأنا مطلقة ومستقلة عن أى تحديد يقع عليها من الخارج وبالتالى فالأنا حتى لو تحددت جزئياً فإن هذا التحديد هو فى الأساس من وضعها وليس مفروضاً عليها من الخارج. إن الأنا عند فيشته موجود متعال وطالما هو كذلك فإنه هو الذى يقوم بتحديد ما يقابله ويتم هذا عن طريق الفهم Understaanding وهو فعل الأنا الحقيقى الذى يصدر عنها وليس له مصدر آخر غير الذات، وهو الذى يجعلنا نصل إلى الحكم على الموضوعات الماثلة فى الواقع وبدونه لن تتحقق آية معرفة(٥٢).وبناء على هذا يرى فيشته أن الأنا هى أساس العالم الواقعى، ويتم هذا عن طريق انفعال الأنا باللا ـ أنا إذ يدفعها هذا الانفعال إلى المحاولة الدائمة

---

(٥٠) Ibid : p. 124.

(٥١) Ibid : p. 152.

(٥٢) Ibid : p. p.214 -216.

لايجاد شروط قبلية أو مقولات تعين على فهم وتنظيم العالم الخارجى، ويؤكد فيشته على هذا الأمر بقوله "إن مصدر الواقع هو الأنا، فالأنا هى ما يتأكد على نحو مطلق ومباشر، وبالتالى فإن تصور الحقيقة مرتبط منذ الوهلة الأولى بالأنا. إذن فإن فعل تأكيد الأنا لنفسها، وفعل تواجدها فى الواقع هما فى الأصل فعل واحد، كما يعد فعل تأكيد الأنا، وفعل الفاعلية فعلاً واحداً من أفعال الأنا"(٥٣) كذلك يقول فى كتابة "غاية الإنسان" "إن العلة التى تجعلنى إدرك شيئاً خارج ذاتى لا توجد خارج الذات إنما توجد فيها، فى تعيينى الخاص، وعن طريق هذا التحديد تخرج القوة الفكرية التى فىّ من ذاتها وتحصل على نظرة عامة لنفسها"(٥٤)ويبين فيشته أن المقولات أو ـ الشروط القبلية ـ التى تجعلنا نفهم العالم لا تستمد من العالم الخارجى إنما هى من وضع العقل، "فذاتى تحوى بالفكر الشروط التى بها وحدها أصبحت هذه الصورة وتلك الحركة أو هذه الفكرة الممكنة، فالمبدأ العقلى هو النقطة التى ينتقل منها الفرد مما هو خاص إلى ما هو عام، والصفة المميزة لهذين النوعين هى المعرفة"(٥٥)

٢٥- لا يتوقف "فيشته" عند حدود العلم النظرى للمعرفة وإنما يمتد بالعلم إلى الواقع العملى، فقد أكد فى العلم النظرى على قدرة الأنا لوضع المقولات وفهم العالم الخارجى، بينما فى العلم العملى يهتم بكيفية العمل لتأكيد فاعلية الأنا فى العالم. فتقوم الأنا فى جانبها العملى بتحديد اللا ـ أنا، ويظهر هذا التحديد فى هيئة صراع مستمر وكفاح دائم تؤكد به الأنا على نفسها وتفرض فاعليتها فى الوجود، ومن أجل هذا تعمل الأنا على مجابهة المادة باستمرار وتكافح لتتجاوز العقبات التى تضعها اللا ـ أنا

---

(٥٣) Ibid : p. 129.

(٥٤) فيشته : غاية الانسان، ص. ٢٣،٢٤.

(٥٥) نفس المصدر : ص ١٢٤.

لتحد من حريتها، فحياة الأنا فى الوجود هى كفاح مستمر لامتناه"[٥٦] ولذلك فإن تأكيد الأنا لنفسها يتم على نحو مطلق عندما تجعل من فاعليتها نموذج الكفاح المتواصل وهو الفعل الحقيقى الذى يكشف عن ماهيتها وصيرورتها فى الوجود.

يقرر "فيشته" أن فاعلية الأنا تعتمد على حريتها، [٥٧] وأن الكفاح - كما سبق القول - يعطى الأنا القدرة على الفعل والتفاعل، وهذان الفعلان يعتمدان على نسق الدوافع الذى تتضمنه الأنا، ويعمل هذا النسق على تحديد طبيعة الأنا وتميزها ولذلك تتجه الأنا إلى تحديد نفسها بنفسها حين تقوم بالكفاح إذ يرتكز هذا التحديد على حريتها الكاملة. وثمة نوعان للدوافع: الأولى تعبر عن كون الإنسان جزءاً من الطبيعة وتتمثل فى الجوع والعطش الخ، وهناك الدوافع الروحية للأنا بوصفها فكراً. ويرى "فيشته" أن هذين النوعين يؤكدان فكرته عن أن الإنسان يجمع بين نظامين: الأول من حيث كونه موضوعاً من موضوعات الطبيعة والثانى من حيث كونه منظِّماً ومنسِّقاً لهذه الطبيعة، ويمثل النظام الأول جانب الرضا والقبول، والثانى جانب الحرية والاستقلال. ونتيجة لهذا يسعى الأنا لتحوير الدوافع الطبيعية لتتصف بخصائص الدوافع الفكرية ويتحقق ذلك عن طريق الحرية الكاملة.

٢٦- يُعلى "فيشته" من قدرة الأنا وفاعليتها الدائمة، فيقرر أن الأنا لا تقنع برضى مؤقت وانما تستمر فى الكفاح لتتأكد كموجود لا متناه، وهذا التأكيد يتم من خلال الوعى، فالوعى هو الحد المميز بين الإنسان كموجود من نتاج الطبيعة وبينه كموجود روحى. لكن هذا الوعى ليس حداً فاصلاً بين موجودين متباينين، إنما هو تعبير عن موجود واحد له طبيعتان متميزتان وإحدى هاتين الطبيعتين تعى الأخرى وتجعلها

---

(٥٦) S.K., p. 238.

(٥٧) Ibid : p. 240.

خاضعة لأوامرها. وهنا يعلن "فيشته" عن وحدة الهوية التى تتحقق عن طريق الجمع بين الذات والموضوع، ويعلن أن الخاصية الجوهرية للأنا هى خاصية قبول الوحدة بين الذات والموضوع[٥٨] وهذه هى المشكلة التى أقضت الفلاسفة زمناً طويلاً ، بيد أن "فيشته" يحقق التواصل وفقاً لنظريته فيقرر أن الأنا الحرة تتطلب الفاعلية المطلقة، وتحقيق هذه الفاعلية هو جوهر الحرية، بيد أن هذه الحرية الممنوحة للأنا ليست حرية مطلقة وإنما هى حرية ملتزمة، ويظهر هذا الالتزام فى طاعة القوانين، وبهذا يتحدد أمامنا فعلان للأنا هما الحرية وطاعة القانون، وهما فعلان لموجود واحد، فأنت تفكر فى حريتك من خلال القانون وكذلك تفكر فى القانون من خلال ذاتك الحرة.

إن الموجود الحر عند "فيشته" هو الأنا الفاعلة التى تكتب فاعليتها من خلال ما تمليه إرادتها الحرة، لأن الفعل الإرادى الحر هو النشاط الحقيقى لأنا. ولكى تحقق الأنا إرادتها لابد أن تستخدم الوسائل المتاحة لها، والعالم الطبيعى هو الممثل لهذه الوسائل والأدوات التى تستغلها الأنا فى إنجاز مهامها وأداء واجباتها فالموضوعات المتكثرة فى العالم تظهر فى هيئة مناسبات تعين الواجب الخاص للأنا. وبناء على هذا يعلن "فيشته" مقولة العمل بوصفها مقولة أساسية لتحقيق الواجب على أكمل وجه، ويعبر العمل عن الطبيعة الأخلاقية للإنسان عن طريق ارتباطه بالضمير، ولذلك ينادى "فيشته" أن العمل هو شرط قيام الحياة المنظمة التى تعبر فى النهاية عن الخير الأقصى. إن الضمير هو نسق الوعى المباشر الذى يرتكز عليه أداؤنا لواجبنا ويتحدد فى الالتزام بما تُمليه علينا الإرادة الخيرة. وأخيراً يقرر "فيشته" أن الوعى بالضمير يرتبط بالتوافق بين الأنا المطلقة والأنا المتناهية، فالأولى تمثل الحقيقة المطلقة أو المعيار الخلقى الذى يُرد إليه الحكم والفصل النهائى، وعندما تستند الأنا المتناهية إلى قرارات الأنا المطلقة يرقى وعيها وينتظم

---

(٥٨) Ibid : p. 252.

حكمها ويسمو ضميرها[٥٩]

ومن الجلى هنا أن "فيشته" يهتم بإرساء معيار مطلق يحاول أن يستند إليه فى حسم قضايا الصواب والخطأ، وهو هنا متأثر بكنط فى الإعلاء من قدر العقل الإنسانى بتجنب أية تبعية فكرية أو أخلاقية تعمل على فقدان الإنسان حرية تقرير المصير. وبالتالى لايجوز لأى سلطة أن تكون هى المعيار المطلوب، إن المعيار الحقيقى هو وعى الأنا المباشر بجوانب الخير فيها وهو قوة عملية مؤثرة لا يعيها إلا من يشعر بها تماماً.

(٥٩) F. Coplestom . History of Philosophy, p. 54 -56.

قائمة المراجع

أولاً: مؤلفات فيشته

1- J. G. Fichte: The Science of Knowledge, Trans. by Peter Heath and John Lachs, Cambridge University Press, 1982.

٢- **فيشته:** غاية الإنسان، دراسة وترجمة د. فوقية حسين محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.

ثانياً: المراجع العربية

٣- **برتراند رسل:** حكمة الغرب، ترجمة د. فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر، ١٩٨٣.

٤- **جيمس كولينز:** الله فى الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٣.

٥- **د. عبدالرحمن بدوى:** شلنج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

٦- **د. عثمان أمين:** رواد المثالية الغربية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٧.

٧- **د. محمود زيدان:** كنط وفلسفته النظرية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٧.

٨- ــــــــــــ : قوانين الفكر الأساسية، مقال منشور فى الكتاب التذكارى عن د. زكى نجيب محمود، كلية الآداب جامعة الكويت، ١٩٨٧.

٩- **هربرت ماركيوز:** العقل والثورة، ترجمة د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩.

١٠- **يوسف كرم**: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، (بدون).

ثالثاً: المراجع الأجنبية

11- Copleston F.: History of Philosophy, vol. VII, Search press, London, New york.

12- Edwards p. (ed): The Encyclopedia of Philosophy Macmillan, London, 1976.

13- Fuller : History of Philosophy, Oxford, 1964.

14- Henry Aiken: The Age of Idiology, the Mentor book, U. S. A, 1956.

15- Marias J.: History of Philosophy, Dover Publications Inc., New york, 1967.

16- Tod Oderich. (ed): The Oxford Companion To Philosophy,Oxford University Press, 1995.

17- Wright W.K: History of Philosophy, The Macmillan Company, New York, 1942.